بردية إفريقية

ياسر أنور



الكتاب : بردية إفريقية (شعر)

المؤلف : ياسر أنور

الطبعة الأولى . القاهرة ٢٠٠٨

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٣٦٤١

الترقيم الدولي : ٩-٠٢-٦٢٨٤-٩٧٧-٩٧٨ : .I.S.B.N

الناشر : شمس للنشر والتوزيع

ت/فاكس: ٠٢ ٢٧٧٢٧٠٠٠٤ (٢+) - ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٢+)

www.shams-group.net

الغلاف : الفنان أمين الصيرفي

بردية إفريقية

إهداء

إلى

ياسر أنور

بردّية إفريقيّة ... قصيدة الشهود الحضاري

د. حسام عقل

قد يرى ثلةٌ من الباحثين في لامية "ياسر أنور" المعنونة بـ"بردية إفريقية" شكلاً من أشكال النكوص إلى الشكل الشعري الملحمي ذي النفس الممتد، وهي على أية حال ، تبقى ملاحظة تتصل بالقالب دون أن تجاوز السطوح إلى الأعماق ، بيد أن نجاح (الذات الشاعرة)في هذه القصيدة تدفع دوائر الحركة دائماً ، إلى التمددِ والاتساع إلى حد الالتحامِ بنبض الحركة الوطنيةِ المنتفضةِ في القارة السمراءِ في وجه الاكتساح الإمبريالي الجديدِ المدعوم بآلة السلاح، ونفير التنظيرات المراوغة المتصلة بالعولمة،

نقول إن هذا النجاح؛ فضلاً عن نجاحاتٍ أخرى تتصل بطزاجة المعجم الشعري وحرفية اليد الشعرية الصناع، كل ذلك مجتمعاً قد منح القصيدة سيماء مميزة، وملامح فنية تنطق بالتمايز والخصوصية.

ولم يكن عجيباً مع هذه الملاحظات الاستهلالية المبداة ، أن تنفذ في قصيدته ، سمةٌ أسلوبية مميزة تظفرُ بمعدل تكراري لافت . أعني" بنْية الاستفهام" المتغلغلة في أكثر مقاطعها وهي بنْية فرضتْ كلمتَها النافذة، مع مقطع التصدير ذاته.

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُكِ؟ إنِّي

منذُ جَرْحَينِ لمْ تصلْني رسائل

اطِمئنِّي؛ فلمْ تزلْ شَاحناتِي

تلعقُ الذلَ عندَ كلِّ المداخل

وقدْ يلاحظُ هنا مغمزٌ ساخرٌ في الدعوة إلى (الاطْمئنان) مع احتشاد هذا القدْر من المخاطرِ وشيوع (بؤَرِ الموتِ) في طريق الرحلةِ على نحو يجعل من لون الطمأنة ذاته عملاً عبثياً إلى غير حدود !

تحركتْ القصيدة بديناميةٍ ظاهرة ، من الإطار الفردي للتجذر بخيوطها المجدولة في ضمير الجماعة، وتغترف بسخاءٍ من نبع الخيَالِ الشعبِي الساخرِ، بأساطيره وصوره الشائعةِ المثيرة، وأخيلته المتواثبة الساخنة. وتبدى هذا النزوع بوضوح في تحويم بعض المقاطعِ الشعرية الدالة حول فكرة "إخراج الجني من الجسم الممسوسِ بطقُوس الزَّار". وهو ما رافقه من الوجهة الأسلوبية الاتِّكاء على بنيةِ الاستفهامِ استمراراً للسمةِ المشار إليها :

حفلةُ الزَّارِ هلْ ستخْرجُ منِّي؟

مارِدُ الجنِ قابعٌ في الداخل

قارةَ النـــرف كيفَ حالُكِ؟ إنِّي

متعبٌ جدًا منْ طقوسِ المهازل

لقد راهنتْ القصـيدةُ في حركتهـا المتـوترةِ المراوحـةِ بـين الأقطاب علـى التركيـز الـدقيق وعلـى المشـاهد اليوميـة المألوفة ، بدماثتِها وحكمتِها المبطنةِ. ومـن ثـمَّ لم تنظـرْ إلى حركية التفاصيلِ اليوميةِ الصغيرةِ؛ بقدر مـن العجرفـة أو التعالي. بل استلهمتها كمادة خام أولية.

ومـع هـذا التركيـز تـوازى تركيـز مماثـل علـى مسـتوى الموضـوعات المثـارة ، علـى "البنيـة الهرميـة " الكـبرى في (الخارج) ويزكِّي ذلك كلُّه الاتِّكاءِ المستمرِ علـى المشـاهدِ اليوميةِ الصغيرةِ الدمثةِ :

زَوْجتِي أيضًا قدْ تبُرْطمُ لكنْ

بعدْها نستطيعُ أنْ نتعامل

حصةُ الأولادِ الصغارِ، ذهابِي

للمشاويرِ، ثمَّ بعض المشاكل

ويبدُو، للوهلةِ الأولى ، أنَّ التحدى المطروحَ أمامَ الشاعرِ، كانَ تفجيرُ (النبض الحداثي)، بكلِ بُؤرُه وتجلِّياته في (القالب العمودي). وقد كان الاحتكامُ إلى (الإيقاعِ الخليلي) في جملة مواريث القالب العمودي التي وظَّفَها الشاعرُ وامتطَى أدواتها بذكاءٍ. وتسلمنا هذه الملاحظة إلى دعوى مفترضة ، فحواها أنَّ توظيفَ (بحر الخفيف) قد ضمن للتجربة في بعض تجلِّياتها السردية ، قدراً من التدفق ومائية الحركة. وهو ما يردنا إلى مقولة أطلقها

العروضيون ، مؤداها أن الخفيفُ بجرسِه الموسيقي المميزِ المتدفقِ موجياً كان ملائمًا لتدفقات النَماء السردي في بعض مقاطعِ التجربة "لخفته في الذوق" – كما يقولُ "الخَليلُ ". (انظرْ نهايةُ الراغبِ في شرحِ عروضِ ابن الحاجبِ / جمال الدين الأسنَوي ص ٨٧، بتحقيق د. شعبان صلاح / دار الثقافة ط١ /١٩٨٨.)

ومنْ الإنصافِ القول: إن قراءة هذه التجربة، والوقوف على دوائرها المركزية، واصطياد مسلحات الإضافة الفاعلة، كل أولئك لايعني أن يعولَ على (الإيقاع) الذي تحرك، فيما يبدو، بمنطق السيمفونية الموحدة التي تطلق تنويعات لا تلبث أن ترتد إلى جذر اللحن الرئيسي. ومنْ ثمَّ فإن "ياسر أنور" لْم يجترحْ لعبةَ الاحتكامِ إلى الفونيمات الصوتية المتماثلةِ أو متقاربةَ المخرجِ داخل السطرِ الشعري؛ قنوعاً بالمظلة الإيقاعية المنسابة التي يوفرها

(الخفيـف). وبمـا يعـني أنّ القـراءةَ النقديـةَ، إنمـا تحـلُّ (العروض) عاملاً تالياً في التقصي لعواملِ أخرى شكلَتْ نبضَ الحداثةِ في التجربةِ. ونقولُ هنا ، بمنطـق التأكيـدِ – إنها تحله عاملاً تالياً – دون أن تنسخَه أو تطمسَ دورَه.

نهضَتْ التجربةُ الشعريةُ ، في جملتها على مبارحـة موجـةِ "التجريد " التي سادت حركة الإبداع الشـعري نحـواً مـن عقدين، حيـث أولـعَ الشـعراءُ و(النـاظمون) بالنظريـات الفكريةِ الكبرى والفلسفاتِ والمذاهبِ وبعث الأسـاطيرِ. وهو ما أسميته في بعضِ دراسـاتي "التـأنُّق بحلْيَـةِ المعـارفِ والعلومِ".

وضـد هـذه الموجـةِ سـبحْت (البرديـة الإفريقيـة) الـتي التحمَـتْ بتفاصـيلِ الحيـاةِ اليوميـةِ المحتقنـةِ المتغلغلـةِ في الألفيةِ الميلاديةِ الثالثةِ، كالإشارة إلى الجلوسِ الطويلِ أمـامَ

(الحاسـوبِ)؛ طلبـاً لمسـلاة المحـاورة (الشـات)، ومتابعـة الفضـائيات السـارية في الخطـاب الإعلامـي بكثافـة؛ (خصوصاً قناة الجزيرة التي أشـارَت إليهـا القصـيدة نصـاً بالتصـريح) ؛ فضـلاً عـن الإشـارة إلى أفـلام المقـاولات المسـطحة التافهـة الـتي حشَـتْ الأدمغـة بـنمطٍ فـجٍ مـن التكوين الفكري الهشّ.

وبالجملة فإن القصيدةَ ترصدُ قطاعاً مستعرضاً مـن الحيـاةِ اليوميةِ لمواطنِ عربي من أقرب نقطةِ في الفضاء. وهو مـا أتاحَ لها ، على ما أسـلفنا ، قـدراً ملحوظـاً مـن الالتحـامِ بالتفاصيل.

منْ جميعِ اللغاتِ صرتُ أُعاني

لستُ أدري مفعولَها والفاعل

(البناتُ- الشاتُ) الثنائية الفوضى

التي قدْ تثيرُ ألفَ تساؤل

منْ سطوحِ الشاشاتِ يقفزن حولي

ويحِ نفسٍ تطيقُ تلكَ الهياكل!

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُك ؟ إنِّي

قدْ " تعودْتُ" الآن لطمَ الثواكل

" فقناةُ الجزيرةِ" اللطمُ فيها

كلّ يومٍ بدون أي مقابل

وتكمنُ المفارقةَ هنا، فى أنَّ هذه التفاصيل الحميمة الدافئة على كثرتها، تبدُو في الظاهر مفعمةً بروح الحركةِ والنماءِ والحياةِ، لكنها لا تصنعُ في الواقع الميداني؛ في نهاية الأمـر (حياةَ)؛ بكل ما تعنيه كلمةُ حياة من عرامةِ وحِرَاكٍ وتجدد، وإنما تصنعُ (موتاً جماعياً) يستل من الصدور أنفاسَ الحياةِ

بسبب غيبةِ (الحرياتِ المدنيةِ) من وجه، وشحوب ثقافة المقاومة من وجه آخر زيفي، مقابل صعود الثقافة الاستهلاكيةِ التي تخاطبُ الشريحةَ العريضةَ من الشعوب بوجباتٍ إعلاميةٍ مخدرةِ، تزيف الأولويات، وتقلب رقعة المشهد، أوْ تنكسه على رأسِه، بدل أن ينتصبَ على قاعدته:

"يتمشّى" الموتُ "الذكي" كشحًا

ذ عجوزٍ عكازُهُ يتثاقل

وبدأب العنكبوت في صياغة دوائرِ شبكته المنسوجةِ بصبرٍ وتؤدة ، تمدُّ الذاتُ الشاعرةُ عمقَ الرؤيةِ بتوسعة الدائرةِ بذكاء ،من الرقعةِ الصغيرةِ إلى الرقعةِ الإفريقيةِ الواسعةِ المنداحة ، بشجنِها وتراثِها العريضِ من المقاومةِ والقهرِ معاً. مع استمرارِ تفعيلِ (بنية الاستفهام) باطِّراد :

كيفَ حالُ الزنوجِ أهلِي وناسِي؟

كيفِ حالُ السوادِ بين القبائل؟

أرضعي هؤلاء لونك حتَّى

يصبحُ اللونُ سيدًا في المحافل

منذ لونَين كانَ لونُكَ يمشِي

جائعًا في ولايةٍ لا تجامل

يرتدي معطفَ الغريبِ ، يُغني

صامتًا.. شرطةُ البياضِ تواصل

حملاتِ التفتيشِ ضد الزنوجِ

الحمر، ضد العلوجِ لا تتكاسل

لقـدْ بـدَا بوضـوحٍ أنَّ القصـيدةَ تسـتردُّ نفـسَ (الـنص التثويري المحرض) الذي يفجرُ إمكانيات المقاومـةِ ويفعِّـلُ

حركةَ الجموعِ. بـل إن الرؤيـة الحضـارية المتخللـة نسـيج التجربة تنظرُ إلى (الحداثةِ) في صيغتِها المعاصـرةِ المنقحـةِ (الأنجلو أمريكية تحديداً !) باعتبارها قرينة آلة القهرِ، التي تُوظِّفُ ترسانتَها العسكريةِ دائماً، ولا تعترفُ إلا بكلمتِها النافذةِ.

ويستخدم الشاعر هنا تقنية قريبة الشبه بما أسماه البلاغيّون قديماً "المبالغة" وقد آنسـناها في مـيراثِ التـنظيرِ البلاغِـي بنوعٍ منْ الشيوعِ، على معنى "أن يدعي الوصـف بلوغـه في الشدةِ أوْ الضعفِ حداً مستحيلاً أو مسـتبعداً" (راجـع: جلال الدين القزويني : التلخيصُ في علومِ البلاغةِ ، ص ٣٧٠ / تحقيق عبد الرحمن الرقوقي ط٢ / ١٩٣٢).

وتتبدى سمةُ (المبالغـةِ) الـتي تجعـلُ (الحداثـةَ) المتأمركـةَ والقهرَ المنظم ،وجهين لعملةٍ واحدةٍ في قوله :

الهرَاواتُ الكهربائيةُ، الغازُ

المسيلُ للدموعِ ، كلٌّ الوسائل

هذه وجبة الحداثةِ مستو

ردة ، والظروف قد تتماثل

وتلقي القصيدةُ بثقلها في رقعةِ القهرِ الواسعِ الممتدِ النافذِ الذي يعانيه (الإنسانُ الإفريقي) بعد أنْ نجحَت القوى الكبرى في تدجين كوادره الفاعلةِ الحاكمةِ، وترويضُ بعضُ النخبِ الثقافيةِ بعد تمامِ سلخِها عن ولاءات التراثِ الكبيرةِ :

جرّةُ الحزنِ فوقَ رأسِك ترنُو

ناشبًا رمشُها بجلد التساؤل

كلَّ يومٍ إلى فمِ البئرِ تخطُو

كحّلتْ صبرَها بصوتِ البلابل

وثمةُ تنويعات شعرية لافتة على مقولة "كبلـنج": (الشـرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا). ولكن التنويعَ هنـا؛ لا يتبنـى مقولـة "كبلـنج" بطابعهـا العنصـري الإمبريـالي المتعجرف، وإنما يتجـه رأسـاً إلى تفعيـل المـيراثِ العربـي الإسلامي الإفريقي والوصول به إلى مراحل ناضـجة مـن النديِّة في مواجهة ثقافـات متغولـة أو (عولـة) مكتسـحة تنشط في مسخ "الخصوصيات الثقافية" :

أيُّها البيضُ ليتَكُم لم تكُونوا

حيثُما كنتمْ فاليمينُ شمائل

أيُّها البيضُ ليتَكُم لم تكُونوا

حيثُما كنتمْ فالنهارُ ليائل

أيُّها البيضُ لونُكم عكسُ لوني

ما التقَينا يومًا، ولنْ نتقابل

وعلى ذلك فإن ياسرأنور لم يتعامل مع القضية الإفريقية بمنظور الفيتوري في أغانيه الشهيرة، أو بمنطق "عبده بدوي" في قصيدته الذائعة (لوموبا والحزن)، وإنما اتجه رأساً إلى تفعيلِ الميراث المشترك أو القواسمِ المشتركة التي تجمع بين التراثين: العربي الإسلامي والإفريقي، صدوراً عن ظرف حضاري مشترك يجد فيه العرب والمسلمون والأفارقة أنفسهم فريسةً سائغةً في مرمى الأطماعِ الإمبريالية والقوى الكبرى المسلحة حتى الأسنان :

نحنُ يا إفريقيا معًا نتدلَّى
في حبالِ الغزاةِ فوقَ المقاصل
نحنُ يا إفريقيا معًا نتسلَّى
بجسور الدماءِ قدْ نتواصل
سارقُ النارِ الأطلسي أتانَا
يسرقُ النومَ من بطونِ الحوامل

وقد سلمتْ التجربة ؛ في شريحة كبيرة من مسلحتها ؛ من التورط في (الابتذال أو التسطيح)حينما آثرت خيار الالتحام بنبضِ التفاصيلِ الصغيرة، والتفاعل مع (اليومى المألوف). وهو نهجٌ ينطوي في حقيقته على عدة محاذير؛ غير أن المخاطرَ المحدقةَ التي تحامتها (الذات الشاعرة) بحساسية بادية، قد أطلَّت بقرنيها في بعضِ المقاطعِ التي أحسسنا بإزائها أن التعبيرَ الشعري فقد قسمًا كبيرًا من رصانته الضرورية، أو أنه تدحرج في أتربةِ الحياةِ اليوميةِ، دون أن ينجح في اقتناصِ الرؤى الكبيرةِ ، أو القضايا البانوراميةِ الرحيبةِ الشاملةِ:

مكتبُ السيدِ المديرِ "تمامًا"

مغلقٌ والنساءُ دومًا دواخل

طبقُ الأنثى في الحياةِ شهيٌّ

النساءُ الحسانُ فعلاً توابل

لي رصيدٌ من الإجازاتِ عالٍ

كلما رحتُ ندوةً أتحايل

وأبوسُ الحذاءَ حتى يلبي

كي أنالَ التوقيعَ أو يتنازل

ويبدو أن ثقافةَ الشاعرِ الأدبيةِ الواسعةِ التي نعرفها قد أغرَته بتكرار تجربة التجسيد الفني لحياة الوظيفة في نص أدبي على نحو ما صنع "جوجول" مثلاً في رائعته "المعطف" حينما جعلَ الموظف الخجول "أكاكي" واحداً من أبرز الشخصيات المنحوتة بحرفية وذكاء ، في الأدب العالمي.

بيد أن التحام التجربة القصصية بنبضِ التفاصيل اليومية الصغيرةِ، يختلف اختلافاً جذرياً بيِّناً، عن التحامِ التجربةِ الشعريةِ بنبض التفاصيل ذاتها لما يمتاز به التعبير الشعري من الاكتنازِ والتخفف من الوقائع الثانوية فيما يشبه نوعًا ما، عملية اختزال الكسور الجبرية.

ولا يكاد يخفى عن أعيننا أن يتخللَ شاشةَ الخطابِ الشعري باستمرار من خيوطِ الروحِ الساخرِ اللاذعِ، الذي نأنسه في أكثر تجاربِ الأدبِ المصرِي منذ "أبي قادوس الدمياطي" و "الأسعد بن مماتي" في رائعته الفريدة "الفاشوش في حكم قراقوش" قديمًا، وحتى نماذج البشري ، والمازني، وحسن الآلاتي، والسعدني، وياسرقطامش، وأحمد رجب حديثًا ، وهي تجارب نهضت، بشعرها ونثرها،

على تفجير المفارقات بقوة حسبانها، ذريعة لنقد السياقات والأوضاع الحضارية بوجه عام :

حائطي متخمٌ بخبزِ القضايا

حائطي من طعامِ الموائدِ مائل

والمساميرُ في الرغيفِ تؤدي

دورها في تثبيتِ بعض المفاصل

نحنُ نجتازُ برزخَ العلمِ فعلاً

نسبقُ الآن عصرنا بمراحل

وخرجنا والقمح لله من كلِّ

البطاقاتِ يا دقيقَ المناخل

نحنُ والصين توءمان نؤدي

كلَّ يومٍ نموذجًا للتكامل

وكان لافتًا للنظر أن ياسر أنور لم يذيِّل قصيدته، شأن كثير من التجارب الشعرية الأخيرة، بالتذييل السوداوي المعهودِ، الذي يضبّب كل شيء، ويحبط كل مسعى، ولا يشيم في الأفق المعتكرِ بارقةَ أملٍ واحدةٍ، وإنما أنعش الذواكر بقدرة الذاتِ العربيةِ الإفريقيةِ، على الصمودِ ومواصلة المسير، مهما تكن عثراتُ الطريق، وكائنة ما كانَتْ ضراوةُ الخصوم :

قارةَ النزفِ رغم هذا فإني

صدقيني لابد أن أتفاءل

كل يومٍ لنا حسينٌ جديدٌ

يزرعُ الأرضَ شتلةً من زلازل

لقد بدا "ياسر أنور" في قصيدته سابحًا ضد التيار مـرتين ؛ مـرة بمعجمـه ورؤيتـه المـزدوجين اللـذين يغترفـان مـن (الخـاص) و (العـام)، ومـرة مـن نـبضِ الحيـاة اليوميـة بتفاصيلها الدافئةِ الدَمِثَة، ونبضِ القضيةِ العامة، بطابعِهـا الرحب الشامل، نكاد نقول بطابعِها الحضاري المستوعب.

وبدا سابحًا، في الوجهة المعاكسة، مرة أخرى بهذه القصـيدةِ الممتدةِ، ذات النفسِ الملحمي، في وقت تتجـه فيـه شـريحة كبيرةٍ من الإبـداعِ الشـعري نحـو التعـبيرِ (الإبيجرامـي) المكتنزِ المركز، الذي يقطر الرؤية تقطيرًا.

ولقد كانَ نجاحُ القصـيدةِ مشـهودًا، وهـي تصـعد اليـومي المألوف اللحظي إلى الحضاري الكوني الرحـب ممـثلاً في دسائسِ القوى الكـبرى، وعطـنِ الحيـاةِ الحزبيـةِ ، وفسـادِ

رؤوسِ الأمـوالِ المحتكـرةِ، علـى نحـو حمـل طـابع الشـهودِ الحضاريِ، بمعنى جعل التجربة الشعرية شاهدة على لحظة حضاريةٍ كبيرةٍ، كمـا صـنع "إليـوت" في "الأرض اليبـاب" وهو يرصد احتقانَات الميلادِ لبعثٍ حضاريٍ جديد.

وبقطع النظرِ عن بعضِ الهنات الفنيةِ اليسيرة، فـإن هـذه القصـيدةِ الباذخـة،تقف شـاهدًا علـى أن التعبيرالشـعري المصري بسبيله إلى مجاوزة المخاض الطويـل إلى نـوع مـن الفطامِ الشعري،الذي يعد بالجديد، ويسترد بعضًا من حزمِ الضوءِ .

بـرديـة إفريقيـة



قارةَ النـــزف كيفَ حالُكِ؟ إنِّي

منذُ جَرْحَين لمْ تصلْنِي رسائل

اطمئنّي فلمْ تزلْ شَاحناتِي

تلعقُ الذلَ عندَ كلِّ المداخل

مَعْبرُ البلدةِ القديمةِ يقضِي

وقتَه في مقْهَى شيوخِ القبائل

لا يبَالِي بزحمةِ العيدِ أوْ

روشتةِ المرضَى أوْ دموعِ الأرامل

مَعْبرُ البلْدةِ القديمةِ كَالمحْتلِ

دومًا لا يستحي ويماطل

لمْ يكنْ ذُو القطْرَين شخصاً عميلاً

لمْ (يُوحدْ) لَكنْ أبادَ الفصائل

مازنُ القومِ حينَ مالَ ليملِي

حازنُ المالِ حينَ قالَ القائل

حفلةُ الزارِ هلْ ستخْرجُ م منِّي؟

ماردُ الجنِ قابعٌ في الداخل

قارةَ النـــزف كيفَ حالُك؟ إنِّي

متعبٌ جدًا منْ طقوس المهازل

لمْ أنمْ جيدًا ؛ فأخبارُ قومِي

أَزْعَجتْنِي برغمِ أنِّي أحاول

زَوْجتِي أيضًا قدْ (تبُرْطمُ) لكنْ

بعدْها نستطيعُ أنْ نتعامل

حصةُ الأولادِ الصغارِ، ذهابِي

للمشاويرِ، ثمَّ بعض المشاكل

عامةً ، هذه الأمورِ غدَتْ عـــ

ــــادية جدًا في جميعِ المنازل

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُك؟ إنِّي

منذْ يومَين والصداعُ معاول

اللحافُ الذي يُغطي عظامِي

كانَ مثلِي عندَ المساءِ يداول

بينَ أولادِي ، بينما كنْتُ أبدُو

عاقلاً ، هذه نهايةُ عاقل

اعتصَامي بالطبع ليسْ مفيدًا

واحدٌ ضدَّ هؤلاءِ الجحافل!

الصداعُ الذي أصابَ دماغي

بعدَ يومين في الحقيقةِ راحل

فشعارُ الشعوبِ أيضًا شعارِي

كلّ ظلمٍ – وإنْ تطاول– زائل!

قارةَ النـــزف كيفَ حالُك ؟ إنّي

بينَ هَذَين الاحتلالين فاشل

احتلالُ النساءِ فاقَ حدودِي

وأنَا فيما بينهن أُفاضل

منْ جميعِ اللغاتِ صرتُ أُعاني

لستُ أدري مفعولَها والفاعل

(البناتُ- الشاتُ) الثنائية الفوضى

التي قدْ تثيرُ ألفَ تساؤل

منْ سطوحِ الشاشاتِ يقفزن حولي

ويح نفسٍ تطيقُ تلكَ الهياكل!

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُك ؟ إنِّي

قدْ " تعودْتُ" الآن لطمَ الثواكل

" فقناةُ الجزيرةِ" اللطمُ فيها

كلَّ يومٍ بدون أي مقابل

منذُ فقهٍ " وشارعُ المتنبي"

في العراقِ استحالَ فقهَ نوازل

ولحسنِ الحظِ الموفقِ جدًا

لمْ يكنْ "لمبي" واقفًا فهو حامل

"والدغيدي " في المهرجانِ بفتوَى

هذه فرصةٌ ، تعالي نحَاول

"يتمشّى" الموتُ "الذكي" كشحًا

ذٍ عجوزٍ عكازُهُ يتثاقل

ينحَني ظهره ، ينادِي إذن "لـــــ

ـــلَّـــه يا محسنين ،إنِّي عائل"

في المقاهِي ، مطاعمِ الفولِ ، أسوا

قِ الخضارِ ، النادِي ، وبينَ المزابل

قاعةِ الدرسِ – دميةِ الطفلِ أيضًا

وإلخْ ، يختفِي بخيطِ المرايل

مفرداتُ الحياةِ صارَتْ مماتاً

أيُّها الموتُ أينَ تُخفي الحبائل؟

أعراقيٌّ أنت ؟ كنْ أيَّ شيءٍ

أيَّ جنسيةٍ ، لديك بدائل!

قارةَ النـــزف كيفَ حالُك ؟ إنِّي

سأعيدُ البكاءَ بعد الفاصل

زاولي مهنةَ الرقيقِ رويدًا

إنني يومًا كنتُ أيضًا أزاول

كيفَ حالُ الزنوجِ أهلِي وناسِي؟

كيف حالُ السوادِ بين القبائل؟

أرضعي هؤلاء لونك حتَّى

يصبحَ اللونُ سيدًا في المحافل

منذ لونَينِ كانَ لونُكَ يمشِي

جائعًا في ولايةٍ لا تجامل

يرتدي معطفَ الغريبِ ، يُغني

صامتًا.. شرطةُ البياضِ تواصل

حملاتِ التفتيشِ ضد الزنوجِ

الحمر، ضد العلوجِ لا تتكاسل

الهرَاواتُ الكهربائيةُ، الغازُ

المسيلُ الدموع ، كلُّ الوسائل

هذه وجبة الحداثةِ مستو

ردة ، والظروف قد تتماثل

كيفَ حالُ البراقعِ اليوم فيكم؟

كيفَ حالُ النساءِ والعُري باطل؟

جرّةُ الحزنِ فوقَ رأسِك ترنُو

ناشبًا رمشُها بجلد التساؤل

كلَّ يومٍ إلى فمِ البئرِ تخطُو

كحّلتْ صبرَها بصوتِ البلابل

والصنابيرُ هَا هنَا تتمادَى

"طرطشت" في حوضِ الفتاوى فضائل

جرةُ الحزنِ برقعتْ وجهها حـا

فيةً تمشي في دروبِ المجاهل

جوربُ البيضِ ربما ليسَ يدري

أن هذا السوادَ دينُ الأوائل

يلسعُ الوقتُ خطوَها وتغني

فالمواويلُ خبزُها المتداول

المواويلُ رضعةُ الطفلِ، فنجَا

نُ المساءِ، الحصيرُ، خيطُ المغازل

المواويلُ حارةُ الشعرِ، مقهى

الصبيةِ المجاني ، شمعُ المنازل

جرةُ الحزنِ خلفها الكوخُ، يحُبو

طفلُها بينَ دهشةٍ وتفاؤل

ليسَ يدري بأنَّ ثمة لونًا

تتخفَّى حرباؤُه في الأنامل

يرقاتٌ منَ السوادِ تؤدي

في صلاة الجلدِ التعيسِ نوافل

بعد أيامٍ سوف يصبحُ العظمُ نصًا

يتهجَّى الرغيفُ والحرفُ هازل

بعد أيامٍ أيُّها الطفلُ (تاتا)

وتدحرجْ كالجذعِ بينَ الفصائل

بعد أيامٍ أيَّها الطفلُ مهلاً

بعد أيامٍ – فاستعدّ – قلائل

ذلك الجُبُّ أنتَ فِيه ستُلقَى

وترَى الموتَ... لنْ تمرْ قوافل

لا تفكِّرْ ; فليسَ ثمة وقت

ها هُو الموت "للحواديت" جادل

ربَّما في حقيبةِ امرأة شقـــ

ـــراءِ تخفى، يغتاظُ منك العواذل

فتذكرْ ، لأمك الشالُ ، هذا

مهرُها ، سل أباك ، لا تتنازل

وتذكرْ لأمك اللونُ ، هذا

آخرُ الإرثِ ممسكًا بالخلاخل

بينما نسوةُ الشمالِ؛ كما تعـــ

لـــمُ؛ يحملن طاقمًا من عوازل

السقوطُ... السقوطُ طبعٌ أصيلٌ

للسقوطِ الزنجيُّ طبعًا آيل

وإذا كنت من ذوي الحظِ فاحملْ

ما يسمى - وبالفصيحِ- حدائل

أيُّها البيضُ ليتَكُم لم تكُونوا

حيثُما كنتمْ فاليمينُ شمائل

أيُّها البيضُ ليتَكُم لم تكُونوا

حيثُما كنتمْ فالنهارُ ليائل

أيُّها البيضُ لونُكم عكسُ لوني

ما التقَينا يومًا، ولنْ نتقابل

احْملُوا لونَكم، معي لونُ أهلي

أنا دومًا لأسرَة اللونِ كافل

احترقْ أيّها الفتى ، قمْ وبايعْ

أنتَ للمصباحِ الثريّ فتائل

لترُ زيتٍ من الزنوخْ سيكفي

كوبَ شايٍ ، وأنتَ نعْمَ الباذل

كرمشاتُ الحروفِ تلعنُ جيلاً

أبلهَ الزِّر بربري المشاعل

طائراتُ التحالفِ الآنَ تلقي

فوق ثدي الرضيعِ بعض القنابل

قرفصاءُ الذهولِ تفغرُ فَاهَا

ويداها مربوطتان بـــ(بابل)

نحنُ يا إفريقيا معًا نتدلّى

في حبالِ الغزاةِ فوقَ المقاصل

نحنُ يا إفريقيا معًا نتسلَّى

بجسور الدماءِ قدْ نتواصل

سارقُ النارِ الأطلسي أتانَا

يسرقُ النومَ من بطونِ الحوامل

مسرحُ الإغريقِ القديمِ يؤدي

دورَ قرصَانه الجديدِ الباسل

لمْ يزلْ في وهمِ البطولةِ يحيا

وأمام الجدودِ كانَ تضاءل

(حَيْ) على أصواتِ الصهيلِ وصلِّي

(حيْ) على الموتِ بينَ تلك الجنادل

فاسمعي يا حبيبتي وتملي

واشربي قهوةَ الجوادِ الصائل

وتعالي كي نستريحَ قليلاً

أقبل الطلقُ ، هل لديكِ قوابل؟

أيُّها الراجلُون صوبَ المعالي

لم يعدْ في حكومةِ العربِ راجل

أيُّها الراكلُون تبنَ الأماني

كلُّ شيءٍ لمقعدِ العربِ راكل

أيّ حُمّى ألقاهم هذه، منْ

ملكٍ أو خليفةٍ أو عاهلٍ؟

أيُّها الآكلُون لحمَ سكوتي

لن أملَّ السكوتَ، من لي بآكل؟

فمعي منديل الأسى ومعي أســـ

ـــلحة أخرى للسكوتِ الشامل

أشتهي لقمةَ الشموخِ وبيتًا

منْ حصيرِ الحروفِ بين الأيائل

أشتهي أنْ أموتَ لا بينَ تلك

القبعاتِ؛ الوجوه ، تلك الغلائل

أشتهي اسمًا مؤدبًا عربيًا

وليكن حتى العاص؛ أعني ابن وائل

سارقُ النارِ عاشَ لصًا غبيًا

يرتدي لعنةَ الغرورِ القاتل

قارة النـــزفِ كيفَ حالُك؟ إني

قد أطلتُ الكلامَ منْ دونَ طائل

اعذريْني ، ثرثرْتُ فعلاً ولكنْ

صدقْيني استرحتُ ، لست أحامل

عُطلتي اليومَ والفراغُ ممل

وفتاتي تنامُ و"النت" فاصل

آسفٌ قد نسيتُ شيئًا مهمًا

كيفَ حالُ البعوضِ والبرد ساعل؟

قيل يومًا جلدُ الزنوجِ سميكًا

قلتُ أيضًا وللحرارةِ عازل

فأساطيل المخيماتِ لدينا

ها هي الآن عندكم تتناسل

أزمةُ الإسكانِ التي تتلوى

مثل حزبٍ في البرلمانِ الباطل

حلها في المخيماتِ ولكن

رغم هذا، عقلُ الحكوماتِ عاطل

كل عيدٍ و أنتِ في الجرحِ أطرى

وقماشُ الأبطالِ بينَ المزابل

كلُّ دُفٍّ وأنتِ في العرسِ اشهَى

وزفافُ البناتِ في الخدِ ذابل

كلُّ حقلٍ و أنتِ والنحل أعرى

وسمادُ الأمواتِ بينَ السنابل

كلُّ نفطٍ والليلُ أحلى وأغلى

والنبيذُ اللذيذُ في الأرضِ سائل

شاربُ الليلِ في الفنادقِ يتلو

آيةَ الجنسِ في الهوى ويغازل

حارسُ الثورةِ المجيدةِ يهوي

لحذاءِ النساءِ حيثُ يناضل

الرضا والسكوت داءُ الكسالى

أسبرين الرضا اختراعٌ فاشل

قارةَ النـــزف كيفَ حالُك؟ إنِّي

عصبيٌّ جدًا وصرتُ أجادل

فمديري في الشغلِ يلوي ذراعي

وأنا لا أحبُ تلكَ المسائل

مستبدٌّ وليسَ يسمعُ رأيي

دائمًا يدّعي بأنِّي جاهل

وأري أنَّه كذلك أيضًا

نحنُ جيلانِ بيننا ألفُ حائل

حينما أحكِي عندَ أمي فلا تُنـــ

ــصفْني.. من لي بالقضاءِ العادل؟

"إنني فوقَ مستوى النقدِ بالطبعِ
اسكتُوا لا أحتاجُ قولَ قائل"

هكذا صوته المعبأ تبغًا
وحصًى من غرورِه وسلاسل

مكتبُ السيدِ المديرِ "تمامًا"
مغلقٌ والنساءُ دومًا دواخل

طبقُ الأنثى في الحياةِ شهيٌّ
النساءُ الحسانُ فعلاً توابل

لي رصيدٌ من الإجازاتِ عالٍ
كلما رحتُ ندوةً أتحايل

وأبوسُ الحذاءَ حتى يلبي
كي أنالَ التوقيعَ أو يتنازل

رغم هذا يلومني لغيابي

قائلاً إني في الوظيفةِ فاشل

صورتي كانت في الجرائدِ يومًا

قلتُ ماذا دهاك ما أنا فاعل؟

خفتُ جدًا أروحُ للشغلِ حتى

أتحاشى هذا المدير السافل

زغردي يا أرضَ الكنانةِ زيدي

من مديري العمومِ كي نتطاول

وحكوماتٌ مثل هذا ستجني

كلَ يومٍ فضيحةً بجلاجل

قارةَ النــزفِ كيفَ حالُك ؟ إنِّي

كربلائيّ الأصلِ بالفخرِ حافل

كلُ ما قيل باطلٌ وهراءٌ

حين جاء الحسينُ لم أتخاذل

إن قلبي مع الحسينِ ولكن

كان سيفي مع العدو القاتل

طعنتي لم تكنْ مع العمد فعلاً

خنجري في الحسينِ تحصيل حاصل

خطأ مني ربما مطبعيٌ

صدقيني فصحتي في النازل

الكوابيسُ لم تزلْ في منامي

"شلة" النادي كلها تتجاهل

مَنظرٌ فوق الوصفِ، فعلاً فظيعٌ

جسدي من كآبتي يتآكل

إن نظارةَ الحصانِ تعامت

لم أخنْه، اسألي هناك بـــ"كابل"

وعمومًا هم حذروه مرارًا

مرة.. مرتين... عشر رسائل

مجلسُ الأمنِ، القنصليات، حتى

عمدة القريةِ، الفقيهُ الفاضل

غير أن الصحافةَ الآن صارت

مصطبات لكلِ قيلٍ وقائل

الإشاعاتُ دائمًا تتوالى

وأنا لست فاضيًا لأجادل

مرهقاتٌ شواغل الناس جدًا

آه لو تعلمين تلك الشواغل

السكرتيرة الجميلة ملتْ

وجهُها الأحمرُ المهذبُ ذابل

كل يومٍ تعيدُ شكلَ الثواني

كل يومٍ تعدُ رسمَ الجداول

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُكِ ؟ إنِّي

منذ بحرٍ أحسُ أني حامل

إنني الآن لا أصيفُ أصلاً

زاهدٌ في مصايفِ القومِ؛ ذاهل

ليس طبعًا لعريهن ولكنْ

ثمّ شيءٌ أمام عيني ماثل

عقدةُ البحرِ سببت لي مآسي

والطبيبُ المعالجُ اليومَ قافل

المهدئاتُ آثارها الجـــا

نبيةُ الآن داخلي تتفاعل

منذ أن سلمت مفاتيحَ "عكا"

للفرنج.. القلاعُ، كلُ المداخل

إيه "فرجينيا" والصليبُ يصلي

وضأته الدماءُ والماءُ سائل!

منذ ذاك الزمان والموجُ شاكٍ

لم أعدْ أستطيعُ رؤيةَ ساحل

الطبيبُ المعالجُ الآن أيضًا

يتمنى لي الشفاءَ الآجل

قالَ لي: "ينبغي عليك التروي"

حالتي قدْ تسوء لو أتساهل

فوطةُ الطبِ كركبتْ حال بطني

واجبي الإنسانيُ أن أتغافل

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُك ؟ إنِّي

في طوابيرِ الخبزِ كنتُ أناضل

فلواءُ الجهادِ في الفرنِ يعلو

نحن قومٌ في أي فرنٍ بواسل

حائطي متخمٌ بخبزِ القضايا

حائطي من طعامِ الموائدِ مائل

والمساميرُ في الرغيفِ تؤدي

دورها في تثبيتِ بعض المفاصل

نحنُ نجتازُ برزخَ العلمِ فعلاً

نسبقُ الآن عصرنا بمراحل

وخرجنا والقمح لله من كلِّ

البطاقاتِ يا دقيقَ المناخل

نحنُ والصين توءمان نؤدي

كلَّ يومٍ نموذجًا للتكامل

نحنُ والصينُ هكذا نتخطى

حاجزَ الخوفِ لابسينَ صنادل

نحنُ والصين سادتي سيداتي

سيزفُ البُشرى القريبُ العاجل

الفوانيسُ لو مِنَ الصينِ تأتي

عربيٌ لسانها يا جاهل

مصنعُ القانونِ الجديدِ يلبي

خدمات التوصيلِ حتى المنازل

باركي لي، تطورت طائراتي

ننقلُ النفطَ بالحمامِ الزاجل

القرى في الصعيدِ قد تتولى

وحدها عبءَ غزلنا في المشاغل

القرى في الصعيدِ قد تتولى

وحدها عبءَ طبخنا في المراجل

ولدينا ما تشتهيه بلادي

نحن في حقبةِ الوزيرِ المقاول

قارةَ النــــزف كيفَ حالُك ؟ إنِّي

هاربٌ منْ شوارعٍ تتداخل

جئتُ من سردابِ الطريقِ الصديقِ

اللولبي الذي كمثلي آفل

المرورُ اليومَ، المرورُ غدًا، في

هيئةِ النقلِ العامِ طورٌ ناقل

ألف عدوى في كلِّ ثانيةٍ هـــ

ـــذا الزحام البلهارسي النائل

دون شك بلا منافسةٍ

جائزة تشجيعية بالكامل

المرورُ اليومَ، الوصولُ غدًا، في

الأفقِ شبورةٌ لطقسٍ مائل

نشرةُ الأجواء المروريةِ الآن

غدَت علِمًا، ليس فتح منادل

إنه الريف جاءنا مِنْ بعيدٍ

آملاً، والصعيدُ طبعًا آمل

أن يحجوا إذنْ إلى "إمبابةِ" الحقِ

ببيضِ الجيوبِ والجيبُ ناحل

زلعةُ "المشِ" في مدى "الدشِ" يعدو

وحشُ عينيها في الخليجِ المقابل

وليكن ما يكون، سيدة اللونِ

ليكن حالق الرصيفِ القاحل

عشةُ الوقتِ في السطوحِ تعرّتْ

كان مستوراً في زحامِ المناحل

يا ابن عمي يا بشرةَ النيلِ إني

لمْ أخُنْ عشرةَالمصاطب.. واصل

لم أشاكلْ فيك الزمانَ ولكن

للمكانِ النبيلِ نبلُ المشاكل

حُمْرة الخدِ ها هنا خشبيٌّ

صوتها والرؤى بلاستيكُ داجل

لغةٌ مِن فم المناجلِ أحلى

منْ مساحيقٍ للكلام المخاتل

وجهك الأسمرُ الضحوكُ سيبقى

ضاحكًا رغم أنف تلك العوامل

يا ابن عمي، من كاهل الصبر قُدّتْ

غنوة في الصعيدِ فيك كواهل

وشْمُها في جلدِ الحقيقة يتلو

صبرَه الأصيلَ صمتُ الأصائل

سُمْرةُ الطينِ منكَ، أم أنت منها؟

خالدٌ أنتَ، بينما الطينُ زائل

الصعيديُّ حادثٌ أمْ قديمٌ ؟

خارجٌ منه نيله أم داخل؟

يا ابن عمي، جنسيةُ النيلِ شالتْ

من جنوبِ البلادِ ما أنت شائل

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُك ؟ حالي

لم تغيرْني فلسفاتُ الأراذل

مغرمٌ بالدليلِ حين استدلت

في حواري حورٌ عليها دلائل

قيلَ يومًا:"نصفُ الحقيقةِ حقٌ"

قلتُ: كلا، نصفُ الحقيقةِ باطل

فاسمعيني والله، والله إني

لا أثيرُ الأسى وتلكَ القلاقل

ببغاءُ (الثقافة ... الفن) يهذي

أخرسي هذا الببغاء العاطل

وأنا أدفعُ الفواتيرَ وحدي

غيرُ مسموحٍ ها هنا أن أفاصل

حين جاءَ الهكسوسُ والسوسُ جوًا

مِنْ قناةِ السويسِ صرتُ النادل

في المقاهي وفي فنادقِ روما

أغسلُ الأطباقَ التي تتشاكل

كان "فرعون" في احتفالٍ مهيبٍ

والتحياتُ بينهم بالتبادل

النعاسُ الذي هناك تخفى

قاوموا ظفره بشتى الوسائل

والصباحُ السعيدُ جهَّزَ جيشًا

عبرَ مذياعه مضى ليقاتل

طائراتُ العدوِّ تسقطُ فوقي

وابلٌ من كلامه إثْرَ وابل

الصباحُ السعيدُ وزَّعَ حولي

كيسَ لطْمٍ مُعنونًا للأرامل

ثروتي الآن ألف جرحٍ وجرحٍ

أيُّها الحاسدون، غيرَ الدمامل

قارةَ النـــزفِ رغم هذا فإني

صدقيني لابد أن أتفاءل

كل يومٍ لنا حسينٌ جديدٌ

يزرعُ الأرضَ شتلةً من زلازل

طائراتُ التحالفِ الآن تهوِي

حابلُ النيران الصديقةِ نابل

وغدًا يسْدَلُ الستارُ ويُطوَى

مسْرحُ الموتِ و(الحزامُ) السادل

قارةَ النـــزفِ كيفَ حالُك ؟ إنِّي

متخمٌ بالكلامِ والحرفُ صاهل

متخمٌ بالكلامِ عمْتِ صباحًا

ثرثراتي منديلُ دمعي الهاطل

آملٌ جدًا واسم فاعله مثلُ

الذي جاءَ في القواميسِ آمل

ليسَ للثرثراتِ أيُ علاجٍ

هكذا أعلنتْ جميعُ المعامل

كتب للمؤلف

المؤلفات الشعرية :

- أربعة مواسم للخريف
- رقم الموت
- هكذا غنيت وحدي
- ورقة في بريد المتنبي
- بردية إفريقية

- **مؤلفات أخرى**

- آلام المسيح (رؤية نقدية)
- سينمائية المشهد القرآني
- معجزات قرآنية
- دراسات وكتب مشتركة مع مؤلفين آخرين

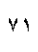
- **تحت الطبع**
  - السماء ملبدة بالكلام (ديوان شعر)
  - آخر أخبار ليلي العامرية (ديوان شعر)

نشرت قصائده في العديد من المجلات والصحف المصرية والعربية.

كتب عنه وأشاد به كبار النقاد في مصر والعالم العربي.

- البريد الإلكتروني : **yasseranwer_69@yahoo.com**







٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢) ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥ (+٢)
www.shams-group.net